

تفسير ابن كثير

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ
الْحُسْنَ^ج وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

قال البخاري : حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما

نزلت : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا

فكتبها ، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله [عز وجل] (غير أولي الضرر

(حدثنا محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت : (

لا يستوي القاعدون من المؤمنين) قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ادع فلانا " فجاءه

ومعه الدواة واللوح والكتف فقال : " اكتب : لا يستوي القاعدون من المؤمنين

والمجاهدون في سبيل الله " وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ، فقال : يا

رسول الله ، أنا ضرير فنزلت مكانها : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر

والمجاهدون في سبيل الله) وقال البخاري أيضا : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني

إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، حدثني سهل بن سعد الساعدي

: أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد ، قال : فأقبلت حتى جلست إلى جنبه ، فأخبرنا

أن زيد بن ثابت أخبره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى علي : " لا يستوي

القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله " . فجاءه ابن أم مكتوم ، وهو يملئها

علي ، قال : يا رسول الله ، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفخذه على فخذي ، فثقلت علي حتى خفت أن

ترض فخذي ، ثم سري عنه ، فأنزل الله : (غير أولي الضرر) انفرد به البخاري دون

مسلم ، وقد روي من وجه آخر عن زيد فقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ،

أبنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد قال : قال زيد بن ثابت : إني قاعد

إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أوحى إليه ، قال : وغشيت السكينة ، قال :

فوقع فخذه على فخذي حين غشيت السكينة . قال زيد : فلا والله ما وجدت شيئاً قط

أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سري عنه فقال : " اكتب يا زيد " .

فأخذت كتفا فقال : " اكتب : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر

والمجاهدون) إلى قوله (أجرا عظيما) فكتبت ذاك في كتف ، فقام حين سمعها ابن أم مكتوم - وكان رجلا أعمى - فقام حين سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول الله ، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد ممن هو أعمى ، وأشباه ذلك ؟ قال زيد : فوالله ما مضى كلامه - أو ما هو إلا أن قضى كلامه - حتى غشيت النبي صلى الله عليه وسلم السكينة ، فوقت فخذة على فخذي ، فوجدت من ثقلها كما وجدت في المرة الأولى ، ثم سري عنه فقال : " اقرأ " . فقرأت عليه : " لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون " فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (غير أولي الضرر) قال زيد : فألحقتها ، فوالله لكأنني أنظر إلى ملحقها عند صدع كان في الكتف . ورواه أبو داود ، عن سعيد بن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه ، به نحوه . وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن زيد بن ثابت ، قال : كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله " فجاء عبد الله ابن أم مكتوم فقال : يا رسول الله إني أحب الجهاد في سبيل الله ولكن بي من الزمانة ما قد ترى ، قد ذهب بصري . قال

زيد : فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي ، حتى خشيت أن ترضعها
ثم سري عنه ، ثم قال : " اكتب : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله) ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق : أخبرني
ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - أن مقسما مولى عبد الله بن
الحارث - أخبره أن ابن عباس أخبره : لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر ،
والخارجون إلى بدر . انفرد به البخاري دون مسلم . وقد رواه الترمذي من طريق حجاج ،
عن ابن جريج ، عن عبد الكريم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير أولي الضرر عن بدر ، والخارجون إلى بدر ، لما نزلت غزوة بدر قال عبد
الله بن جحش وابن أم مكتوم : إنا أعميان يا رسول الله فهل لنا رخصة ؟ فنزلت : (لا
يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) وفضل الله المجاهدين على القاعدين
درجة ، فهؤلاء القاعدون غير أولي الضرر (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا
عظيما) درجات منه على القاعدين من المؤمنين غير أولي الضرر . هذا لفظ الترمذي ،
ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . فقلوه [تعالى] (لا يستوي القاعدون من

المؤمنين) كان مطلقا ، فلما نزل بوحي سريع : (غير أولي الضرر) صار ذلك مخرجا
لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد - من العمى والعرج والمرض - عن مساواتهم
للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . ثم أخبر تعالى بفضيلة المجاهدين على
القاعدين ، قال ابن عباس : (غير أولي الضرر) وكذا ينبغي أن يكون لما ثبت في
الصحيح عند البخاري من طريق زهير بن معاوية ، عن حميد ، عن أنس ؛ أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : " إن بالمدينة أقواما ما سرتم من مسير ، ولا قطعتم من واد إلا
وهم معكم فيه " قالوا : وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال : " نعم حبسهم العذر " . وهكذا
رواه الإمام أحمد عن محمد بن أبي عدي عن حميد ، عن أنس ، به وعلقه البخاري
مجزوما . ورواه أبو داود عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن موسى بن أنس بن مالك ،
عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ،
ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه " . قالوا : يا رسول الله ،
وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : " حبسهم العذر " . لفظ أبي داود وفي هذا
المعنى قال الشاعر : يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا إنا

أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحا وقوله : (وكلا وعد الله الحسنى)
أي : الجنة والجزاء الجزيل . وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بفرض عين بل هو فرض
على الكفاية . ثم قال تعالى : (وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما) ثم
أخبر تعالى بما فضلهم به من الدرجات ، في غرف الجنان العاليات ، ومغفرة الذنوب
والزلات ، وحلول الرحمة والبركات ، إحسانا منه وتكريما ; ولهذا قال تعالى :